

دور عزيز المصرى فى معركة الحرية

- لا آلات ولا أدوات...
- حقيقة منشورات مصطفى صدقى..
- قصة اعترافات حسين توفيق..
- حيلة القاويش...
- ضباط يحلفون يمين الأخوان المسلمين!
- نصيحة العمر...

مسالكها..يختار الله من عباده المخلصين من يتيح لهم البصيرة التي تغنى عن البصر، فإذا همعدما يتكاثف الظلام، وتتعدر الرؤية، ويتخبط الناس فى طرقات الحياة، وتنشعب بهم يتوقفون عند العثرة، لانهم يتوقعونها، وان لم ترها منهم الأبصار..

وقد كان الله معنا فى طريقنا الطويل إلى هذه الثورة، فأودعنا البصيرة كلما ادلهمت الظلمة، وجنب خطواتنا أكثر العثرات..

وفى طريقنا هذا الطويل، لمعت أماننا أضواء، وتبعنا أقدامنا أقدام.. ولكن خطواتنا ظلت محتفظة باتزانها وشخصيتها، واستقلال توجيهها واستطاعت أن تؤكد للجميع، أنها تستطيع أن تلتقى بخطوات الآخرين، ولكنها لا تستطيع أن ترتبط بها، لا متبوعة ولا تابعة، لأنها خطوات لا تمضى الا بإرادة أصحابها، وأصحابها لم تكن تعوزهم البصيرة، مهما افتقدوا الضوء فى الطريق...

منذ عام 1942.. وعقب حادث 4 فبراير ببضعة أشهر تقرر ت هذه الحقيقة، حقيقة استقلال
خطواتنا داخل الجيش عن كل مؤثر خارجى وعن كل قيادة خارجية..

وكل لهذا القرار, الذى أصبح تقليدا راسخا لنا بعد ذلك، سبب مباشر وظروف.

ففى يوم من الأيام، توجه المرحوم الشهيد" وجيه خليل" إلى عبد الحكيم عامر وكان يعرفه
ويعرف حماسه واتجاه تفكيره ويعرف أنه واحد من جماعة الضباط الأحرار يتشاورون دائما فيما
ينبغى عمله عقب ذلك الحادث المثلثوم...

ولا شك أن بعضنا كان يرى العنف ويفكر فى القيام بأعمال إرهابية واسعة النطاق..
فالإرهاب دائما هو أول الحلول التى تتبادر للشباب المتحمس فى أيام المحن القاسية التى تجتاح
الوطن...

ولم تكن هذه الفكرة تجد معارضة كبيرة أو محسوسة من أكثرنا.. بل لقد كان بعضنا
يدبر الأمر للتنفيذ وكأنها خطة مرسومة لا اختلاف عليها ولم تكن زيارة الشهيد" وجيه خليل" لعبد
الحكيم الا صدق لوجود هذا الاتجاه.. فقد كان مقصورا بهذه الزيارة تدبير اغتيالات متعاقبة
واسعة النطاق تشل حركة الإنجليز وأعاونهم فى تلك الأيام العصيبة من أيام الحرب.

وانتهت هذه الزيارة والتقى عبد الحكيم بجمال فأنباه بنبيها..

لا آلات ولا أدوات

وكعادة جمال أنصت طويلا إلى هذه القصة.. والأسلوب الذى سيتبع فى التنفيذ، وتمويل
الغدائين ورعاية أسر من يتعرض منهم لسوء، والاستعدادات الموجودة لهذه المعركة التى " سوف"
تدور فى الظلام...

وشئ واحد لم يستطع جمال أن يستخلصه من حديث عبد الحكيم.. من الذى سيدير هذه
المعركة.. وما هى أهدافه منها...

ولم يكن الشهيد وجيه خليل قد قام بهذا الاتصال باسمه الخاص ولكن باسم جماعة تقف من خلفه هي التي بعثته رسولا إلى جمال..

وقال عبد الحكيم أن وجيه قد احتفظ بما بعد ذلك سرا وأن جماعته تريد أن تستعين نا لما تعرفه عنا من استعداد لخوض معركة من هذا القبيل...

وقال جمال في هدوء:

لا...

ثم أردف:

قد نرى القيام بحملة إرهابية واغتيالات، ولكننا عندما نصنع ذلك يجب أن نصنعه بأنفسنا ونتحمل وحدنا كل مسؤولياته ونتأجه... فالخط الذي يجب أن نسير عليه كضباط في الجيش هو ألا نكون آلات ولا أدوات في يد أحد من الناس ولا جماعة من الجماعات مهما كانت وحدة أهدافنا وهما كانت درجة إخلاصهم...

قال هذا جمال في عام 1942.. وانتهت بهذا قصة" وجيه خليل" قبل أن تبدأ...!

ولكن قصة أخرى لوجيه خليل قد بدأت يعد ذلك.. قصة عظيمة مجيدة وهب فيها حياته كأشجع ضابط في أقدس الميادين...

فقد انضم وجيه بعد ذلك إلى الأحرار وأصبح عنصرا من أهم العناصر في تشكيلاتهم.. فلما كانت حرب فلسطين كان من أسبق الضباط إليها .

وهناك في الميدان جرح زميل له وكان هو في مصفحته فهبط ليحمل زميله الجريح. و هبط تحت نيران اليهود ليخر صريعا شهيدا كأشجع ما يكون ضابط وكأنبل ما يكون أنسان.

يمين الإخلاص للدعوة

وفي عام 1944، 1945.. في الفترة التي تناولتها هذه المجموعة من الصفحات، تكررت الصلات بين الضباط الأحرار وبين تشكيلات كثيرة عسكرية، ومدنية ولكن هذا القرار الذي صدر في عام 1942. ظل دستوراً لهذا المجموعة من الضباط.

صورة

فى هذه الفترة نشطت جماعة الأخوان المسلمين نشاطا كبيرا فى اجتذاب عدد من ضباط الجيش إليها. ونشطت نشاطا كبيرا فى الاتصال بجمال عبد الناصر، ومجموعة أصدقائه.. وليس سرا أن عدد من الضباط كانوا قد آلفو دعوة الأخوان، واحبوها.. ورأوا فيها أملا ومخرجا لمصر من محنتها.

وعندما تلتقى ببعضهم اليوم قد يقض عليك قصة ذلك اليوم الذى تم فيه" اختياره" بواسطة الجماعة، ثم طلب منه أن يذهب إلى مكان ما... لحلف اليمين.

كانوا إذ ذاك يذهبون ليلا، إلى حى الصليبية فإذا ما ينطوى الحى عليهم، قادهم رسول الأخوان فى أزقة مظلمة متعرجة... حتى يصلوا إلى بيت عتيق.. فيصعدون درجا يؤدى إلى غرفة مظلمة، لا أحد فيها، ولا يفتح نوافذها..

ويجلس الضابط، وضع عليها مصحف، ومسدس.. ثم يدخل إلى الغرفة فى الظلام رجل لا يراه الجالس، ويلقنه يمين الإخلاص لدعوة، فيؤدى، هذا القسم وأبداه موضوعتان على المصحف والمسدس.

وتنتهى هذه العملية فيخرج الرجل من الغرفة أولا.. ثم يخرج الضابط ليجد رسول الأخوان الذى جاء به فى انتظاره يقوده مثلما جاء به إلى خارج الحى..

التعاون.. لا الانضمام

وكانت الصلة بين الأخوان، وبين ضباط الجيش، ضابط هو الصاغ عبد المنعم عبد الرؤوف.. وكان عبد المنعم، يدعو ضباط الجيش إلى الانضمام لصفوف الأخوان، ويعرفون دائما بالصاغ" محمود لبيب" ليتولى هذا قيادتهم فى طريق الدعوة..

وكان الضباط يرحبون بهذا التعاون.. أنهم كانوا يريدون متفيا ينفسون به عن آلامهم الحبيسة، كقوة وطنية مقيدة بأغلال الحياة العسكرية...

وكانت كثرة الضباط ترى أن يقوم التعاون دون الانضمام.. فمن سمات الرجل العسكرى ألا يخضع لأوامر تأتيه عن طريق العسكرة الذى يندرج فيه..

ولعل أخطاء كثيرة قد وقعت من جماعة الأخوان فى صلتهم بالضباط,, فقد كان الضباط ينضمون إلى هذه الجماعة، أو يتعاونون معها، وفى يقينهم أن دورهم فى هذا التعاون هو دور التنظيم والتدريب لشباب الأخوان المتحمس الذى يتحرق شوقا للتدريب العسكرى وحمل السلاح فى انتظار الفرصة التى تأتيه فداء الوطن.

ولكن تنظيمات الأخوان، كانت لا تفرق بين الضباط وغيرهم.. حتى لقد كانوا يحددون للضباط مواعيد التدريب.. فأذا أقبلوا وجودا واحدا من المدنيين، يعطيهم دروسا فى كيفية استعمال المسدسات..

وكانت هذه الأساليب تزعج الضباط إزعاجا شديدا.. فهم يقبلون على الأخوان، وعلى دعوتهم، كضباط مدربين، لا كجماعات فى حاجة إلى التدريب.. وهم يشعرون بمرارة واسى يملآن قلوبهم عندما يجدون الجراء الوحيد لهم على هذا الإقبال الرضى، هو أن يعلمهم مدنى، كيف يستعملون السلاح!

وفوق ذلك، فلم تكن خطة الأخوان واضحة لهم.. ولم يكن أحد يصارحهم بشىء..

وكانوا يتساءلون.. متى نعمل، وما هو نوع العمل الذى نعد أنفسنا ونعد شباب الأخوان له.. فلا يجابون على سؤال..

وكانوا يتسألون: فما هو المطلوب منا..

فيقال لهم: أن نتقوا فى قيادة الدعوة.. و، تعملوا ما يطلب منكم فى حينه فحسب...

ولم تكن هذه الفترة قصيرة.. فقد امتدت أكثر من عامين وحدثت فى خلالها أحداث ظن هؤلاء الضباط أن كل حدث منها، سيكون الناقوس، الذى تصدر على أثره أوامر العمل المطلوب...

ولكن هذا الأحداث مرت، بكل رنين النواقيس.. والأخوان فى جمود.. والضباط المنضمون إليهم فى حيرى من أمرهم.. لا يعرفون ماذا يصنعون...

نصيحة العمر

وكضباط لم يكونوا يستطيعون أن يأخذوا أنفسهم هذا المآخذ الشديد.. فكانوا يتكلمون فيما يضيفون به من الأمر. وكانوا يلجأون إلى أصحاب الرأي يسألونهم العون والتوجيه... وكان ممن ذهب إليهم جماعة الضباط المنضمين الأخوان الفريق عزيز المصرى... وللفريق عزيز المصرى، طبيعته النزاعة إلى التحرر من كل قيد.. وشخصيته المستقلة دائما وطريقته فى تربية ضباطه وأبنائه على الاستقلال بالرأى وقوة الشخصية، والعمل بالإرادة... ويقول لك هؤلاء الذين ذهبوا إلى الفريق عزيز المصرى، أنه قال لهم "كانوا أخوانا إذا شئتم.. ولكن لا تقفوا عند هذا الحد"..

ولما سألوه عما يصنعون أجابهم: - إقرأؤه.. إقرأؤه كل كتاب.. إقرأؤه فى السياسة ومذاهبها والاقتصاد وفنونه، والاجتماع وأبوابه.. إقرأؤه وأضيئوا فى رؤوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فيها لكى يهمل ويهال عليه التراب... إقرأؤه.. ثم أضربوا فى الأرض. واعرفوا الناس، وجربوا بأنفسكم كل شئ.. ولا تتقيدوا بدعوة، ولا بزعيم.. ولا تربطوا أنفسكم برأى قد ترون غيره إذا ما استتارت بالعلم رؤوسكم..

ينضمون للأحرار

هذه كانت نصيحة عزيز المصرى للضباط الذين ذهبوا إليه تلك الأيام.. وقد ظل هؤلاء الضباط على صلتهم بدعوة الأخوان. ولكنهم جميعا أخذوا هذه النصيحة مأخذ الجد.. وبدأوا يقرعون.. ومن هؤلاء عدد من الضباط الذين يفخر بهم جيش مصر.. لانهم استطاعوا أن يجمعوا بين روحانية الدين، وبين ضوء العلم، وحقائق الحياة المادية التى خلقنا لكى نعيش فيها.. وكل هؤلاء قد أنضموا إلى الأحرار بمجرد تكوينهم على النحو الذى سنفصله فى هذه الصفحات..

وفى خصم تلك الأيام العصيبة من أعوام 1944، 1945، 1946.. حدثت أحداث أخرى من تشكيلات أخرى.. بعضها مدنى.. وبعضها عسكرى..

منشورات مصطفى صدقى

وكان أول هذه الأحداث، هو حادث التدبير للاعتداء على الفريق إبراهيم عطا الله.. الذى اتهم فيه اليوزباشى مصطفى صدقى وزملاؤه.

وكان مصطفى كمال صدقى قد كون مجموعة من العسكريين، أكثرهم من ضباط الصف.. تهدف إلى تطهير الجيش من رؤسائه الجهلاء.. وكان أسم الفريق إبراهيم عطا الله فى رأس القائمة التى فكر مصطفى كمال صدقى وجماعته فى التخلص منهم.

وكان مصطفى كمال صدقى ضابطا فى إدارة المخابرات فى الجيش ومختار فى مجموعته عددا من صولات الإدارة.. وأخذ يعد المنشورات ويطبعتها داخل الإدارة، وبآلاتها، ظنا منه أن هذه الوسيلة هى أسلم الوسائل لكى لا ينكشف أمر مجموعته..

ولكن تقديره لم يكن سليما.. فقد ضبطت المنشورات.. وضبطت قائمة فى داخل إدارة المخابرات تحوى أسماء ثلاثة وعشرين ضابطا.. وصولا..

والقى القبض على الجميع، وتقرر حبسهم وتقديمهم إلى المحاكمة.

حيلة من القاويش

وكان الحادث الثانى الذى أحدث دويا فى البلاد هو حادث اغتيال أمين سامى.. وقد قام بهذا الحادث تشكيل فدائى خارج الجيش...

وكان متفقا عند تقريره، ألا يبوح القاتل إذا قبض عليه بأى شئ أو أى أسم من أسماء أخواته...

وكان حسين توفيق، هو الذى تقدم فى اللحظة الأخيرة واصر على أن يوكل إليه أمر التنفيذ.. وعندما قبض عليه، ظل مصر على عدم الاعتراف، حتى استطاع كامل القاويش أن يلعب

بأعصابه، بقصة مختلفة، أن دلت على شئ فعلى ذكاء القاويش وادرمته الصحيح لنفسيات من يقوم بالتحقيق معهم..

فقد أدرك القاويش أن حسين توفيق قد قام بهذا العمل، كعمل من أعمال البطولة يذكره له التاريخ.. فاراد أن يطعنه فى حلمه العزيز طعنة دامية، تجعله ينسى عهده للجماعة، ويروح بكل شئ...

وذهب القاويش إلى إحدى الصحف الكبيرة، وأملى عليها خيرا مؤداه أن التحقيق قد أسفر عن وقوع الحادث لأسباب نسائية.. وجعل فى الخبر تلميحا إلى قيام صلة بين أمين عثمان وبين سيدة عزيزة جداً على القاتل حسين توفيق...

وفى الصباح دعا القاويش القاتل إلى مكتبه.. واطلعه على هذا الخبر...
وجن جنون حسين توفيق...

لقد قتل أمين عثمان، وفى يقينه أنه يعمل عملا من أعمال البطولة الوطنية.. فكيف يقبل أن تذهب كل هذه البطولة هباء.. وأن تلوث أيضا سمعة أسرته، وسمعة أعز النساء عليه..
وانفجر يعترف.. يعترف بالجماعة التى دبرت هذا الحادث، وأسماء أعضائها، وأهدافهم، ومكان اجتماعاتهم، وتفاصيل ما يملكون من أسلحة.. اعترف بكل شئ...

وكنت بين من شملتهم اعترافات حسين توفيق، فالقى القبض على وشاركته السجن واحدا وثلاثين شهرا، حتى برأى القضاء.

سياسة جمال

وهكذا...

كانت هذه الفترة نشاط كثير.. نشاط من الأخوان كجماعة منظمة.. ونشاط فى داخل الجيش أو ألوان من النشاط فى داخل الجيش، واتصالات بالفريق عزيز المصرى.. وتدبيرات عنيفة واغتيالات..

وكان لجمال عبد الناصر رأى فى كل هذا...

فيوم طلب منه عبد المنعم عبد الرؤوف أن تقوم بينه هو وجماعته صلة مع الأخوان..
رحب بقيام هذه الصلة.. على أن تظل لجماعته شخصيتها المستقلة، وتفكيرها الخاص..

ويوم وقع حادث الفريق إبراهيم عطا الله قرر معاونة جميع المقبوض عليهم من الضباط
وضباط الصف، فقام هو ومجموعة أصدقائه بجمع الاثراكات ودفع مرتبات المقبوض عليهم
جميعا طيلة فترة إيقافهم...

وحدث أن علمت إدارة الجيش بهذا الصنيع فأصدرت أمرها بمنع الاتصال بهؤلاء الضباط، ومنع
القيام بآيه معاونة لهم.. ولكن جمال وأصدقائه رفضوا هذه الأوامر، وتحذوها علنا وواصلوا العمل
لمعاونة المعتقلين...

وقد ظنت هذه الجماعة يوم خرجت من الاعتقال، أن هذا الموقف من جمال معناه رضاه
عن العمل معها.. ولكن جمال رفض ذلك عندما عرض عليه.. وقررت المجموعة عدم التعاون
مع هذه الجماعة، لأنها تضم أفرادا أكثرهم يتصف بالعبث وعدم المبالاة وحب الشهرة .. وعدم
التقدير لحقيقة العمل، الذي يريدون عمله..

أما لماذا قام بمعاونتهم.. فقد قام بذلك، لانه رأى إشعار الرؤساء فى الجيش، بأن هذا
الرأى الذى رأته فيهم جماعة مصطفى صدقى.. يمكن جدا أن يكون رأى الجميع!

ويوم قام التشكيل الفدائى باغتيال أمين عثمان، ظلت المجموعة على صلة بى، حتى
أعدت خطة لتهربى من السجن..

وهكذا كانت تقاليد المجموعة قد بدأت تتخذ صورا واضحة فى مواقف متعددة..

وكان أهم هذه التقاليد، هو أن تظل الجماعة قائمة بنفسها، عاملة بإرادتها، محددة
لخطواتها...

وفى كلمتين اثنتين..

ألا تكون آلة، ولا أداة فى أى يد

أما وسائلها.. فقد تطورت...

تطورت من صداقة تجمع الضباط، إلى تشكيل له نظام وأدوات...

وتطورات من السرية.. إلى العلنية إلى السرية مرة أخرى.. وكان لكل مرحلة من هذه المراحل ظروفها وأسبابها وغاياتها الوقتية المحددة أيضا...

وظلت الجماعة تسير.. خطوة خطوة.. نحو أعداد كبير...